حجر رشيد

د. مصطفى حجازي

دار نهضة مصر للنشر

العنوان:

حجـر رشيـد

تأليف:

د. مصطفى حجازي

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

جميـع الحقـوق محفوظـة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظـر طبـع أو نشـر أو تصـوير أو تخزيـن
أي جـزء مـن هـذا الكتـاب بأيـة وسيلـة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصويـر أو خـلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريـح من الناشـر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-4602-6
رقـم الإيـداع: 16257 / 2013
الطبعة الأولـى: أكتوبـر 2013

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تليفـون: 33466434 - 33472864 02
فاكـس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

إهـــــداء

إلــى أمــي..

المحتويـــات

إهـداء 3

الباب الأول: الحجر الرشيد 11

الباب الثاني: 18.. ثمانية عشر 23

- الأيام الـ «18».. عيش وملح وجرح 31
- السنون الـ «18».. المِحَن 43
  - محنة الهوية! 44
  - مصر بين «الهوية والملكية» 54
  - معضلة الانتماء 56
  - محنة «الأهلية» 59
  - محنة «الادعاء» 62
  - الحقيقة الممسرحة 67
  - محنة العقلية الأحادية 69
  - مجتمع القهر والفوضى.. محنة القهر والفوضى 73
  - اللحظة 75

الباب الثالث: أسـفار.. الشهور الثمانية عشر 81
– مارس 2011.. النهر أم المستنقع؟! 87
– ما قبل الدولة.. 95
– «25 يناير.. رواية ورؤية».. 97
– إبريل.. قصة إرادتين..! 111
– مايو 2011.. خصخصة ثورة بوضع اليد..! 115
– التيار الرئيسي 119
– يوليو 2011.. لا داعي للمجاملة أكثر من ذلك! 127
– أغسطس 2011.. حقائق قبل الوثائق!.. 139
– سبتمبر 2011.. الفوضى! 151
– أكتوبر 2011.. آفة حارتنا النسيان! 157
– نوفمبر 2011.. الأحداث هوامش والأحوال حقائق! 171
– ديسمبر 2011.. «سوط» الشعب! 183

الباب الرابع: الأحداث هوامش.. والأحوال حقائق 193
– إبريل 2012.. كثير من الكذب! 195
– مايو 2012.. سوق عكاظ! 215
– يونيو 2012.. أيُّ «الاحتلالين» أفضل ؟ 235
– يوليو 2012.. حكايات كليلة ودمنة! 257
– أغسطس 2012.. الغدر 279
– سبتمبر 2012.. مستوطنات سياسية 295
– أكتوبر 2012.. روميل! 309
– نوفمبر 2012.. علامات الزوال 327
– ديسمبر 2012.. الهزل والسفه والجريمة 345
– تتمة الأسفار 367

الباب الخامس: فلسفة النشأة..! 371
– نوح 374
– المستقبل يشترط 377
– مؤسسة الحكم «المدني» أو «الأهلي»! 382
– التأسيس..! 386
– التأسيسات 389
– الزعيم والمؤسسة 396

الحجـــر الرشـــيد

"وما الدهر في حال السكون بساكنٍ

ولكنـــه مســتجمـــع لـــوثـوب"

عبد الرحمن الجبرتي

قـد يبـدو هـذا الكتاب ـ لبعـض قرائـه ـ تأريخًا لصراع في بلـد محوري في تاريـخ العالم، وهو مصر.. لوهلة أخرى قد يبدو تحليلًا لأسـباب تراجع هذا البلد عن المساهمة الحضارية.. أو تأصيلاً لقواعد استفاقته من غفوته ومن ثم تبوئه لدوره القدري في إقليمه وعالمه، ولكن حقيقته كما أراها أو أريدها هي كونه محاولة قراءة إنسانية في تاريخ صراع إنساني «قيمي»، مصر هي من أهم مسارحه الآن.

والتاريخ كما أعُرِفّه هو «فلسفة» الماضي والحاضر، أي الحكمة المستقاة من أحداث جرت أو تجري.

هـو قـراءة «إنسـانية» إذًا في تاريـخ هذا الـصراع.. من مـصر.. من رحم مجتمعها قبل إطار إقليمها العربي أو محيطها الدولي.

بعبـارة أخـرى تأريخ لأثر فترة عشـتها.. أراها سـتكون فارقـة في تاريخ مصر والمنطقة والعالم.. ليس من باب سرد الأحداث اليومية المعيشة وإنما من مدخل قراءة درجة حضور معنى الإنسانية أو غيابه.

فإنسـانيتنا هـي المُنشِـئ لأحـداث حياتنا اليوميـة، ومن ثم فهـي القادرة على منحنا أسـس اسـتشراف المسـتقبل، وهي التي راوغتنا بحق حتى وقت قريب.

ولم تكن إنسـانيتنا لتراوغنا أو تغيب عنا لولا أسـباب كنا نحن طرفًا فيها عـلى مـدار قرابة نصف القـرن.. وحتى تنادينـا إليها واسـتعدناها في ميادين الربيـع العـربي أو قبلها بقليل.. لذا توجب علينـا أن نعرف وندرس لم غابت

أو غيبت.. وكيف غابت أو غيبت؛ حتى لا تراوغنا ثانية فندفع الثمن أوطانًا تضيع.. وحياة نحياها مواتًا..!

واقـع هذا الكتاب إذًا أنه كتاب عن المسـتقبل.. يقـرأ في تاريخ ولا يسرد ماضيًا .

ذلـك لأنـه حتى وإن تحدث عـن أمور الماضي فهو ليـس بغرض سردها، ولكـن يحـاول أن يقتفي حكمة أحوال مضت وهي الحكمـة المرجوة لتقودنا في المستقبل.

يحـاول أن يقرأ في «أحوال» الأحداث.. أي أسـبابها وآثارها.. ليس فقط لأن التاريـخ وإن لم يُعِـد نفسـه فإنه يقفـي كما يقولون.. ولكـن لأن في علوم الاسـتراتيجيا والإدارة نقـول إن النجـاح والفشـل يتسـاويان.. إذا لم نعرف أسباب كل منهما.

هو كتاب عن مستقبل الصراع.. وطبيعته.. وأطرافه – وأنت أيها القارئ العزيز أحد أطرافه.

وفي اسـتدعاء ملامح طبيعة هذا الصراع وجذوره . . بعض تلك الملامح سيسـوقنا للتاريخ القريب والأقرب أو ما يشبه الحاضر.. وبعضها يذهب بنا للتاريخ البعيد بل والبعيد جدًّا في تاريخ مصر وأمتيها العربية والإسلامية..

هو كتاب عن المستقبل في لحظة البشرية كلها تغادر عصرًا وتستقبل آخر.. وتخلع عنها نسقًا معرفيًّا وعقليًّا وتكتسي بغيره، فنحن في تلك اللحظات من الألفيـة الثالثة نغـادر عصر المعلوماتيـة (ما بعد العصر الصناعي) ونسـتقبل عصر الحكمة أو المبدأ، وفي ذلك حديث يطول.. في كتاب آخر..!

وحظ المسـتقبل فيـه هو أن نعرف من التاريخ لماذا جـرى ما جرى.. أكثر مـن ماذا جـرى أو كيف جـرى؟ وبهذا نكون قد وفينا المسـتقبل أوفر قسـط مـن حقـه وهو أن نَعْرِفَ ونُعرِّفَ.. في أي صراع نحن؟ وكيف نحيا به وفيه؟ وماذا يتوجب علينا أن نعي لكي نفعل.. هذا إذا أردنا أن نعي ونفعل..!

ومنهـج التأريـخ الذي سـأتبعه هو باسـتحضار خواطر كتبتها في شـكل مقالات أو مدونات أو حتى سـطور قصيرة.. من واقع ما استفزني في الواقع المصري والعربي والإنساني برمته وكانت بمثابة قراءتي أو تحليلي للواقع الذي حـولي في حينهـا. كان بحثـي في كل منها عن مشـهد ما في التاريـخ، أو معنى مـا في المنطـق، أو حكمة مـا في مبدأ.. تعـين أن تكون مفتاحًـا لفهم ما يجري ومعرفة لماذا يجري على هذا النحو.

فكانت تلك الكتابات أشبه بأفكار مفتاحية تعين على فك طلسم الحدث الجاري حولي في حينها.. وقد ألح عليَّ تشبيهها بحجر رشيد..!

ذلـك الحجر الذي لم يَحْوِ كل الكتابة باللغـة الهيروغليفية القديمة، ولكنه بالمضاهاة اللغوية التي اسـتقيناها منه بين اللغات الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية أعطانا مفتاحًا لقراءة تاريخ حضارة كاملة.

وبمثلها أردت كل مدونة فكرة أو رسالة مفتاحية تعين على فهم طبيعة طرف في الصراع أو طبيعة الصراع ذاته التي تجلت في هذا الحدث وفي تلك اللحظة..

قـد تكـون الفكرة المفتاحية هـي: لماذا يفعل هذا الطـرف أو ذاك فعله من هـذا التاريـخ القديـم أو الحديث؟! كيف جُبـل؟! لماذا صار سـمته الفكري والإنساني هكذا ليصير فعله ما نرى وما يؤثر فينا سلبًا أو إيجابًا؟

وكأن هذا الحجر كان له من اسـمه نصيـب.. فالتعريف الحقيقي بالحجر الرشـيد الـذي عنونت الكتاب باسـمه ليـس إضافة لموقع اكتشـافه الجغرافي كما هو الحال مع الحجر التاريخي.. إنما جاء الرشـد مقرونًا باسـمه ليعين على الرشد بما قد يقود إليه محتواه.

كان هذا هو الرابط الملح بين ما كنت أدون حول وقائع التاريخ تأثرًا ومحاولة للفهم وبين الحجر الرشيد، وهذا ما أريد أن يكون حظ القارئ منه..!

أريـد للقـارئ العزيز أن تصلـه فكرتها؛ لترشِّـد قراءتنا لحـدث الصراع، ومن ثم تعينه على التعاطي مع أحداث تجِدُّ وسَتَجِدّ، أكثر من إعانته على فهم أحداث انقضت.

ولأن الرشـد التاريخي بشـأن الصراع الإنسـاني في مصر والعالم ودور كل واحـد منا فيه هـو مبتغاي.. فإن تقديـري وأملي أن يتعامـل القارئ مع تلك المدونات من باب كونها حوارًا بيني وبينه.

والحـوار هو صفة شركاء الحـيرة.. أكثر من كونه نقوشًـا على حجر مملاة مني تجاه قضية بعينها لا تقبل المراجعة .

ولأني أريد لتلك المدونات أن تكون الحجر الرشـيد.. لا الحجر الأصم.. فما عليها هو حوار متواصل مدون.. أكثر منه معلومات مُملاة أو منقوشة.

وظني أن تلك المدونات أصدق ما تكون في الحوار بشأن التاريخ؛ لأن ما كُتِـب كُتب في لحظته ولم يكتب لاحقًا ثم متذكرًا لحظته.. ومعظمها مدونات سـطرتها على شـبكات التواصل الاجتماعي التي لم تبدأ علاقتي بها كمشارك يدون إلا إبان ثورات الربيع العربي من عام 2011.

هـي ذاكرة صادقة شـبه يوميـة لأحداث الوطـن ـ الذي نحيا بـه قبل أن نحيـا فيـه ـ كـما انعكسـت تلك الأحـداث على مـرآة وجداني ووجـدان من كانـوا حـولي.. وحاولت جاهـدًا أن أصدق في نقلها من خلال مـا أملَته، بل أقول نقشَـتْه علـيَّ أحداثه في وقت حدوثها.. رفضًا أو استحسانًا.. فرحًا أو حزنًا.. قلقًا أو سكينة.

هـي وإن بدت أوراقًا مبعثـرة يبقى بينها خيط ناظم، وهو الانفعال بواقع مجتمعـي متغـير وصل إلى فـورة تغيره في لحظة ثـورة شـعبية حقيقية.. لم تزل تصارع من أجل حلم الوطن الذي وعدت به.. وأظنها منتصرة بإذن الله.

سـأضع الأوراق بترتيبها التاريخي.. أعلق على مناسـبات كتابة بعضها.. وأترك تاريخ كتابتها يعلق عنها حين أظنه أكثر دلالة للتعبير عنها.

والفـترة التـي أردت اقتفاء أصـول الصراع الحـالي فيها، أو قـراءة لواقع الإنسانية في مصر، هي تحديدًا من قرب مطلع الألفية الثالثة حتى العام الثاني عشر من قرنها الأول (1993–2013).